منهجية الدرس الكلامى وأطرها المعرفية فى التفاعل مع ماورائيات الأطروحات الحداثية

(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

الأستاذ الدكتور /محمد عبدالرحيم البيومى

عميد كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

وأستاذ العقيدة والفلسفة،جامعة الأزهر

من ١١ إلى ٣٤

منهجية الدرس الكلامى وأطرها المعرفية فى التفاعل مع ماورائيات الأطروحات الحداثية

(دراسة تحليلية نقدية)

محمد عبدالرحيم محمد البيومى
قسم العقيدة والفلسفة- كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق -جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني: Dr.mohammed.albauomee@gmail.com

الملخص:

لقد أيقن كل إنسان على مختلف درجات فكره أنه لا خروج من عواصف أزماته، إلا بعواصم الارتباط بالمصادر، وقواصم تقوض ارتيابية التفيؤ بظلال حداثية مشكلاته.

فإن فوضوية ما وراء الحداثة أرادت أن تثخن الإنسان بجراحات الغربة والتيه في عالم ما صنع إلا من أجله وطلب منه عمارته، حتى لا يدري لنفسه مستقراً ولا في استشرافه مقاماً، من هنا كانت نظرات المرايا المحدبة، والمرايا المقعرة، تمهيداً للخروج من التيه، بيد أن الذي منحه الوجود في بداياته أراد أن يسكنه قرار الخلد في نهاياته، فعصف بالبشرية أزمات لا عاصم منها إلا بمنهجية تعيد الإنسان إلى الارتباط بالأصول والمصادر، بعد أن ثارت ما ورائيات الحداثة عليها معلنة القطيعة معها حتى وهنا تبرز المنهجيات الكلامية في عصر ما وراء الحداثة مهتبلة هذه الأزمة لتأكيد الوجود وترسيخ الذات في خطاب تكاملي يراعي الأبعاد المختلفة للكيان الانساني .وقد أتخذت في هذه الدراسة المنهج التحليل النقدي

الكلمات المفتاحية: منهجية ، الكلامي ، التفاعل ، أطروحات الحداثة ، التحليلي ، النقدي.

The Methodology Of The Speech Lesson And Its Cognitive Frameworks In Interaction With The Modernist Theses - a Critical Znalytical Study

Mohammed Abdul Rahim Mohammed Al-Bayoumi
Department of Belief and Philosophy - Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah - Zagazig - Al-Azhar University
Email: Dr.mohammed.albauomee@gmail.com

Abstract:

Every human being has come to the point of thinking that there is no exit from the storms of his crises, except in the capitals of attachment to sources, and the stigma that undermines the suspicion of mortality in the shadow of the modernity of his problems..

The postmodern anarchism wanted to enrid the human being with the wounds of alienation, which in a world that was made only for him and asked him to build it, so that he did not know for himself stable or in his foresight, from here were the looks of convex mirrors, and concave mirrors, as a prelude To get out of the lost, but the one who gave him existence in his beginnings wanted to be inhabited by the decision of the mole at its end, he stormed humanity crises that are not assem except with a methodology that restores man to the connection with the origins and sources, after the opinions of modernity erupted on them, announcing the break With it even and here the rhetorical methodologies of the postmodern era emerge the end of this crisis to confirm existence and self-consolidation in an integrative discourse that takes into account the different dimensions of the human entity.

Keywords: Methodology, Speech, Interaction, Thesis Of Modernity, Analytical, Critical.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على خير خلق الله وأشرف المرسلين،سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد

لقد وجدت مشاريع فكرية زعم أصحابها تجديد علم الكلام الإسلامي في ضوء توجهات الحداثة وما بعدها، فأسلمتهم إلى نتائج فكرية لا تعبر عن المنهجية الحقيقية لعلم الكلام، في ضوء تصورات خاطئة تعبر عن مشاريع أرضية لا علاقة لها بالسماء " الوحي " فأدى ذلك إلى تولد تيارات متعددة فيها الأنسنة ، التي اعتبرت الدين منتجاً بشري، ومنها تيار الثورة الذي اعتبر الدين ثورة على الأوضاع الاجتماعية على طريقة الديالكتيك الماركسي، ومنها تيار اعتبر الوحي ملكاً خالصاً للبشر ولا وجود لتفسيره إلا في عقول أصحابه وطبقاً لأحوالهم وأوضاعهم أي تحريك الثابت.

لقد نظر هؤلاء وغيرهم من تيارات ما وراء الحداثة إلى المنهجية الفكرية لعلم الكلام بريبة جعلتهم ينحونه عن واقعهم الفكري ، ولا أبالغ إن قلت أنهم أرادو إخضاعه للتفكيك ذاته، في جملة العصف بالأسس والثوابت، التي قادتهم إليها تصورات القطيعة مع الأصل والمصدر بأطره الثلاثة، وغاب عنهم أن علم الكلام في حقيقة منهجه قد أدى دوره في مختلف عصور الأمة تجاوباً مع مشكلاتها وما وفد إلى واقعها من محن فكرية أرادت أن تجتال مدخلاتها فعلت شرفات جبالها رجال فزالوا والجبال جبال .

إن فوضوية ما وراء الحداثة أرادت أن تثخن الإنسان بجراحات الغربة والتيه في عالم ما صنع إلا من أجله وطلب منه عمارته، حتى لا يدري لنفسه مستقراً ولا في استشرافه مقاماً، من هنا كانت نظرات المرايا المحدبة، والمرايا المقعرة، تمهيداً للخروج من التيه، بيد أن الذي منحه الوجود في بداياته أراد أن يسكنه

قرار الخلد في نهاياته، فعصف بالبشرية أزمات لا عاصم منها إلا بمنهجية تعيد الإنسان إلى الارتباط بالأصول والمصادر، بعد أن ثارت ما ورائيات الحداثة عليها معلنة القطيعة معها حتى أيقن كل إنسان على مختلف درجات فكره أنه لا خروج من عواصف أزماته، إلا بعواصم الارتباط بالمصادر، وقواصم تقوض ارتيابية التفيؤ بظلال حداثية مشكلاته.

وهنا تبرز المنهجيات الكلامية في عصر ما وراء الحداثة مهتبلة هذه الأزمة لتأكيد الوجود وترسيخ الذات في خطاب تكاملي يراعي الأبعاد المختلفة للكيان الانساني، بما يحيط به من مكون زماني ويتفاعل معه من واقع مكاني – دون إغراق في مصطلحات يرى أصحابها روعة الفكر في غموضها، في حين أن تحقق الأمان الانساني في بنيته الفكرية يكمن في تجليها وكواشفها .

في ضوء ما تقدم أتت فكرة هذا البحث الذي نحن بصدده نحاول من خلاله إبراز وشائج القربى بين تراثنا الكلامي وما ورائيات الحداثة لنعلن من خلال ذلك الكينونة الحية لتراثنا الماجد التي تتحرك عبر الزمان في عصور العلوم وأطروحات الحداثة وما بعدها.

المؤلف

أ.د/ محمد عبد الرحيم محمد البيومي

المبحث الأول

الرؤية التصورية لعلم الكلام فيما ورائيات الفكر الحداثى

مما لاشك فيه أن الفكر الإسلامى قد خطى بأقدام متسارعة نحو التفاعل مع قضايا ماوراء الحداثة ،من خلال الدرس الكلامى.ونبعت هذه الرؤية التفاعلية من خلال عدد من المحددات التى تمخضت عنها فى تصورها لما ينبغى أن تكون عليه المنهجية الكلامية فى عصر ما بعد الحداثة ،كما عبرت هذه الدراسات ،حيث أكدت أن عصر مابعد الحداثة بما تمخض عنه من قضايا فكرية يحتاج إلى الدرس الكلامى من خلال دورين:

الأول – تفاعلى

الثانى–تصويبى

ومن ثم كانت الحاجة إلى إحياء منهجية علم الكلام الإسلامى فى إطارها الإثباتى والدفعى بالنسبة للبنية العقدية ،فى الرؤية الخلدونية والعضدية.

وقد تطلب ذلك وفق هذا التصور إحياء الدور الأصولى البنيوى لعلم الكلام تفاعلا مع معطيات ما بعد الحداثة فى تعدية للبنية الاستدلالية العقلية ، والشواهد النقلية إلى بنيتين استدلاليتين تمثلتا فى الأصول الاستدلالية الروحانية ، والأصول الاستدلالية العملية فى عملية تكاملية بين المنهج العقلى والذوقى ، تأسيسا على الفطرة كنموذج ذوقى مقارن بالاستدلال العقلى والمنطقى فى إطاره النظرى والحدوثى فى مثاله التطبيقى .

وبهذا يتم الخروج من تيه الجدليات النظرية إلى مسلمات التقنيات العملية فى الدلالة والخطاب، ومن ثم استلزم الأمر عملية تبادلية فى النظرة إلى المذاهب الكلامية من خلالها يقعد للمذهب من خلال بنيته المنهجية لا الأيدلوجية لما يترتب على التكوين الأيدلوجى من مخاطر التصنيف التى تضيق وتتسع العقول فى استيعابها .

وفى هذا الاطار استلزم الأمر إحياء الدور التفاعلى فى صورته العملية لعلم الكلام الإسلامى ، ولعل هذا يتضح فى تنوعية المنهجية فى الطرح الفكرى للقضايا العقدية عند حجة الإسلام الغزالى من خلال كتابى (إلجام العوام عن علم الكلام) و(قواعد العقائد) مع وجود المساوقة الوجدانية فى مناهج الاستدلال فى(بداية الهداية) و(المنقذ من الضلال).

ولم تلبث هذه الرؤية إلا أن قدمت نماذج تطبيقية للمعالجات الكلامية فى طرح ما بعد الحداثة من خلال قضية تكفير المخالف من خلال التوصيلات العضدية والجورجانية فيها عند التناول للملاسنات التكفيرية بين الفرق المختلفة ، ولم يخرج الأمر من وجهة نظر هذه الرؤية فى تصوير المذهب عند العضدى والجورجانى عن التمسك بالظواهر القولية أو التشبث باللوازم ودورانها بين بنية الخصوص ، وبنية العموم .

وفى ضوء المعطيات السابقة فى الدرس الكلامى كانت مقترحات آليات التجديد لمسائل علم الكلام الإسلامى وفى مقدمتها اعتماد المسائل الكلاسيكية التى عالجتها المنهجية الكلامية على المستجدات الفكرية ، مع التأكيد على استعادة العلوم الطبعية الخادمة لطرق الاستدلال مثل ما قام به الغزالى من تأكيد على مبدأ التمدد الكونى فى مناقشته للفلاسفة الإسلاميين فى تهافته ، وربط ذلك بنظرية الانفجار العظيم .

مما يتطلب فى ضوء هذه الرؤية تفريع مسائل العلم من خلال الانطلاق من القواعد والكليات فى مباحث القواعد الكلامية حتى تعد كل مسألة علماً برأسه كما فعل الآمدى فى أبكاره ، والتفتازانى فى شرحه للمقاصد ، والجرجانى فى شرحه للمواقف .

وتؤكد هذه الرؤية على وجوب الاستفادة من منهج الافتراضات العقلية ، والذى يتساوى مع فكرة الفنقلة فى التراث الإسلامى والتى تمثل معضلة العدالة الإلهية أو(الثيوديسيا)أحد النماذج الفكرية المعبرة عنها .[١]

[١]- تراجع هذه الأفكار فى آليات التعامل مع علم الكلام الإسلامى فى عصر ما بعد الحداثة الجامعة القاسمية ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م .

المبحث الثانى

الرؤية المقترحة وأطرها المعرفية للتعامل مع الدرس الكلامى فيما ورائيات الحداثة

لقد قدمت هذه الدراسة رؤية تصورية لآليات التعامل مع علم الكلام الإسلامى فيما وراء الحداثة،فإننا نقرر أنها رؤية لها وجهها من الاعتبار فى مجال الدرسين الكلامى وما وراءالحداثى ،بيد أن الفضاء المعرفى يتسع لتعدد الرؤى وتجاذب الآراء التى تجعلنى أزعم تصورا للمعالجة الكلامية فى طرح ما وراء الحداثة.قد يلتقى فى موجات طويلة أو قصيرة مع الطرح السابق .ويلفت نظرى فى هذا الطرح وغيره عدد من الأمور منها:

١- عدم التمسك بذكر المسند إليه فى مثل هذه الدراسات ،والواقع أن ذكر المسند إليه له أهميته إذ بوجوده تتبين طبيعة المعالجة في البحث، ويحذفه يفتقد البحث إلى المنهج والرؤيا،وفى ظل وجوده وعدمه تتحدد صلات الباحث وتجليته، ووصفه ونقده.وفى ظل غيابه تتسربل الحقيقة بدثارات الغموض، ويصبغ المنهج بألوان رمادية لا تبين عن جوهره وحقيقته.

٢- تربط هذه الدراسة ومثيلاتها بين العصر والحداثة كما ورد في العنوان ،والواقع أن الصلة منبتة بينهما. إذ إن الحداثة قد ألغت الزمنية بل هي نقيض الزمنية،وفى ظلها تشيأ الزمان.

٣- وإذا كانت هذه الدراسة ومثيلاتها تنهض على تحديد آليات التعامل بين علم الكلام وطرح ما بعد الحداثة فإن تلمس الآليات على حسب مقتضيات النظم التعبيرى يرد عليه:

أ- أنه يعبر عن التتابع والانتقال من الجزئيات إلى الكليات، وهذا يتطلب منهجاً أو قانوناً أو معياراً يعود إليه، بينما الحداثة وما بعد الحداثة تعتمد على

الفوضى كما في مدارس السيريالزم. كما تعتمد على إهمال المركزية، والمرجعية، وبناء عليه سيترتب أحادية التأويل واعتبار كل متلق مرجعاً بذاته.

ب- كما أن كلمة آليات في العنوان غير دقيقة لأنها توهم النسبة إلى المذهب الآلي وهو غير ما يراد من البحث فى مثل هذه الجزئيات الفكرية.

ت- كما أن هذا المصطلح يتسم بخصوصية في الدلالة عند كثير من الفلاسفة مثل (توماس هوبز وجون لوك في إنجلترا، ورينيه ديكارت في فرنسا، ومن قبلهم ديمقريطس، مع ملاحظة أن هذا المصطلح قد ذكر في هذا الدرس في سياق بيني غربي إسلامي مما يعطي المصطلح فوضى في الدلالة وهذا عين ما ترنو إليه تفكيكات ما بعد الحداثة.

٤- المنهجية:

لابد فى هذا النوع من الدراسات تحديد وبيان منهج الدراسة، فغياب المنهجية تضفى صفة الهلامية على محاور الدراسات والأبحاث، كما أن وجودها يبين المنطلقات الأيدلوجية التى يرتكز عليها الباحث فى محاور معالجته .ولما كانت المزاوجة فى الدرس الفكرى بين التراث والطرح الحداثى وما وراءه تتباين وجهات النظر حولها بين مصل ومجل،استلزم الأمر تحديد المنهجية التى من خلالها تتضح المسارات الفكرية فى الطرح والمعالجة،فشتان الفرق بين رؤية تستصحب التراث ككائن حى يعبر عن الحاضر كما عبر عن واقع الأمة فى الماضى وأخرى ترى القطيعة بين الحاضر والماضى هى محور المعالجة،والخروج من تيه الأزمات والمآزق التى يتعرض لها عالمنا المعاصر على مختلف مستويات بنياته الفكرية والمادية.

وإذا كانت الرؤية التى سبق تقديمها فى المبحث عن التراث وما بعد الحداثة تؤكد على إحياء الدور الأصولي (البنيوي) لعلم الكلام تفاعلاً مع معطيات ما بعد الحداثة .

فإننا نلحظ:

أ–إن البنيوية تعتمد على موت المؤلف، وموت المؤلف عندنا في النص الأعظم والذي تدور حوله القضايا الكلية هو الله،مما يخرج النص عن قداسته ويخضعه لمعايير النقد الأدنى والأعلى التى تشكك فى مصداقية النص، لتنطلق من هذا التشكيك إلى إخراج صورة مقاربة لأصله،وليست هى ذات الأصل، وبهذا ترتفع القداسة عن النص الأعظم ويصير فى مهب الريح كغيره من النصوص التى خلصت لأصحابها تأليفا وتحريفا.

ب –عزل النص عن السياقات التاريخية والاجتماعية المؤثرة، وهذا أمر له خطورته في تناول النصوص وعشوائية إسقاطها على الواقع.

ج–النص في البنيوية بنية مغلقة لغوية وليس دلالية وعليه، فإنني ألجأ إلى غلق القرآن وغلق الحديث وتحويله إلى مجموعة علامات لغوية لا غير، تتسق أو تختلف وتنعزل عن الدلالة التي هي مدار العمل في لغة البيان والإبانة.

ح–تعتمد البنيوية في قوامها على الأنساق الداخلية، وعليه فإن الأساطير والأنسنة هي المرجع الوحيد المعتمد لتفسير الظواهر المادية والغيبية.

خ–أن الربط بين الأصولية والبنيوية فى محدد واحد من جميع جهاته المنطقية يورث التناقض وذلك للتنافي بين الأصولية والبنيوية من جهتين:

١) البنيوية قطيعة مع المركز والمرجع فى حين أن الأصول الكلامية لها مرجعيتها.

٢) كما أن الأصول أصل البراهين والأدلة إذ تشمل الحدود والأوضاع والمقدمات، وهذا أمر مفتقد في البحث إلى حد ما.

د–تفعيل الجانب الروحاني كما ورد في العنوان في سياق البحث لا يستقيم مع العنونة بالبنيوية، لان البنيوية قطيعة مع المصدر الأصلي للرؤية الروحية وهو الدين.

٢- وإذا أتينا إلى فكرة تبديل تناول المذاهب الكلامية من الأيدلوجية إلى الكلامية فإننا نلحظ انعدام الاستقامة الفكرية فى الطرح نظرا لصعوبة رصد تطور الأيدلوجيا فيما بعد الحداثة وتحولها إلى نظرة مجتمعية، ولما كانت البنيوية في الحداثة تنهض على عزل النص أو الأصول عن المؤثرات الاجتماعية والتاريخية فكيف بها تعتمد على هذه الأيدولوجيات وقد أعلنت البنيوية القطيعة معها سلفاً.

٣-أما بالنسبة لفكرة إحياء الدور التفاعلي (العملي) لعلم الكلام الإسلامي .

فإننا لابد أن نوقن أن هناك فرق بين التفاعل والعملي ،إذ التفاعلي يقف عند حد النشاط وهو مصطلح في أصله كيميائي، أما العملي فيقتضي التطبيق أي العمل وتطبيق منجزات علم الكلام الإسلامي في الأصول الثلاثة، ومن ثم فإن توظيف المصطلحات الحداثية والبنيوية كما تبنت الرؤية الفكرية فى المبحث الأول تعقيد في مشهد القطيعة الأبستمولوجية بين المسلم وتراثه.

وعليه فلابد من تحديد الغاية بين التفاعل والعمل ومساحتها مع استحضار المناقضة مع الرؤية الحداثية.

٤-وإذا أتينا إلى نموذج لمعالجة كلامية منهجية لقضية تكفير المخالف كما طبقت الدراسة السابقة:

فإننا يجب أن نرسخ لمفهوم الآخر بدلاً من المخالف ما دمنا نتحدث في سياقات الحداثة وما بعدها؛ لأن الآخر أوسع في الدلالة إذ يشمل الآخر المذهبي والأيدلوجي والإثني، والأممي ... بينما المخالف يقف فى صحيح الاستعمال عند حد الدين أو المذهب. في حين أن الطرح الحداثي وما بعده له من دلالة السعة ما يجعل الآخر هو البديل الحداثي للمخالف.

أما فيما يتعلق بآليات تجديد مسائل علم الكلام الإسلامي كما وضحت الدراسة. فإننا نلاحظ أن التجديد أتى في سياق الحداثة، وهذا يعني الهدم لجميع الأصول المعرفية ومنها التراث ونصوصه والقطيعة، نظرا لقيام الرؤية الحداثية في التجديد على دوام صيرورة الهدم والبناء، وهذا لا يستقيم مع التراث الإسلامي بحال من الأحوال. .

وإذا كانت الدراسة قد أكدت على اعتماد المسائل القديمة كنماذج للتطبيق المنهجي على المستجدات الفكرية فى الدرس الكلامى:

فإن هذا العنوان تتوارد عليه إشكاليات منها:

١) إثبات العلاقة بين تصورين أولهما غيبى روحي وهو ما يتعلق بقضايا التراث الإسلامي، والثاني مادي ينهض على تشييء الكون ومن ضميمته الإنسان كما أشار (هربرت ماركوز) كمرتكز لما بعد الحداثة، وكذلك (جورج لوكاتس) المجري.

٢) ولعل من أسباب الإخفاق في موضوع التجديد تطبيق المناهج الحداثية، أو التكييف المعاصر للقضايا القديمة، أو العكس تطبيق المناهج القديمة، على القضايا المعاصرة، لأن في هذا إغفال لمنطق العصر والمقولة الصادقة النص مرهون تفسيره بعصره ومشاكله.

أما بالنسبة لما اعتمدته الدراسة السابقة من استعادة الاهتمام بالعلوم الطبعية الخادمة لطرق الاستدلال .

ففي الجانب التطبيقى لهذا الطرح تم تفسير تمدد الكون عند الغزالي بتمدد المادة في نظرية الانفجار العظيم.

والواقع أن هناك فرق بين تمدد المادة والكون، إذ الثانية هيولي .. وهي مظهر للأولى، وتشكل من تشكلاتها لابد لها من خالق منظم، بيد أن الانفجار ينفي الحكمة والدقة

وعلى هذا فلابد من الاحتراز عند تفسير النص التراثي في ضوء السياقات الحداثية، لئلا نصل إلى مرحلة من التفسيرات الذاتية للنص التراثى ،سبق أن امتدت عند العض إلى القرآن الكريم بدعوى عدم استيعاب المعطيات العقلية لدلائل الإعجاز،ولننظر إلى تفسيرات هؤلاء للحجارة والطير الأبابيل.....الخ على سبيل المثال.

وإذا كانت الرؤية التى سبق الإشارة إليها فى المبحث الأول قد تعرضت لتفريع على مسائل العلم.

فإن التفريع لا يجعل المسألة قاعدة لأن المسألة تمثل ومآل لمصطلح القاعدة.

أما ما تم اقتراحه من الاستفادة من منهج الافتراضات العقلية المعروف بالفنقلة كما أطلقت عليه الدراسة.

فالفنقلة ليست الافتراضات العقلية كما فسرتها الدراسة، وإنما هى مصطلح ظهر فى العصر العثماني معني بمهنة الوراقة في التحشية والتقرير لأنه يمثل نحتا لغويا لعبارة (فإن قال كذا قلت كذا)،وإن استخدم تطبيقا فى عصور سابقة.

أما الافتراضات العقلية فتدخل في باب الحيل عند الأحناف وغيرهم في الفقه، والاعتراضات عند النحاة والأجوبة عليها، بل هي أقرب إلى المحالات العقلية في عصرها في حين أنها تحمل نظرة استشرافية واقعية في ضوء مقاييس عصور أخرى فهي تمثل عملية إبداعية أخرى فيما يسمى باللغة الشارحة في مصطلحات ما بعد الحداثة، إذ تمثل مرحلة نقد النقد النابعة من التلقي فالفنقلة أقرب إلى الصنعة اللفظية الجدلية من الافتراضات العقلية، ولا تدل على الافتراضات العقلية مطابقة أو لزوما، وإن دلت لزوما فاللزوم غير بين.

وفى ضوء ما تقدم نؤكد على عدد من المعطيات فى هذه الدراسة

أولا–إذا كان البحث حول آليات التعامل مع علم الكلام الإسلامي في عصر ما بعد الحداثة كما أكدت الدراسة فيما أشرنا إليه فى المبحث الأول.

فالملاحظ.

١–أنها لم تستوعب المنهج التفكيكي الذي يمثل سمتاً لفكر ما بعد الحداثة ولا ذكرت أي أساس من أسسه.

٢–كما أنها لم تعرض إلى الخلفيات اليهودية وفلسفاتها وتوظيف نصوص القبالة في رؤية (جاك دريدا) [١] و(لوران بارت) [٢] وهما أساس المنهج التفكيكي وقراءاته المنفتحة، إذ التفكيكية في أنساقها المختلفة تتعامل مع النص التراثي في ضوء:

أ–غياب المرجع (الخالق – اللغة – المرجع الأخلاقي....)

ب–التعامل مع الأصل في صورة التأويلات الأحادية التلفيقية، وهي أخطر من التأويلات الغنوصية، مع اعتبار النص مجموعة علامات أو رموز منفتحة الدلالة لا يمكن الوقوف عليها "مبدأ الإرجاء" في التفكيكية

ج–الميتانص ويعني ذلك في ضوء البحث أن النقد الموجه يحفه إطار الفرضية فيما زعمه البحث بمصطلح الفنقلة عند السعد وعند غيره، إذ يكون هو المتن أو بدرجة قداسة المتن أو جزء حقيقي لا غنى عنه للمتن، مع أنه يتعارض مع المتن ويناقضه مما يخلق حالة من البلبلة في التمسك بالرأي والتعصب له.

ثانيا – مصطلح الثويديسيا (Theodicy) الذى اعتمدته الدراسة:

في نفس المعجم الذى استقت من المصطلح لم تلحظ :

١– التطور الدلالي للمصطلح.

---

[١]– مفكر فرنسي ت ٢٠٠٤م .

[١]– ناقد وأديب فرنسي ت ١٩٨٠م .

٢- اعتمد البحث تعريف المصطلح في صورته الكلاسيكية (١٧١٠م)بمعنى العدالة الإلاهية من حيث إثباتها وتبريرها وتنظيرها وإشكالياتها المتعلقة بنسبة الخير والشر إلى الله في المنظور الغربي حتى وصل الأمر إلى علائق جدلية ومطارحات فكرية بين نيوتن وليبنتز حولها في حين لم يعتمد البحث على المآلات الدلالية التي استقر عليها بعد ذلك من (١٨٤٠ إلى ١٨٨٠) إلى الآن، والذي وضعته المدرسة التلفيقية الفرنسية على أحد أقسام الفلسفة بالإضافة إلى علم النفس والمنطق والأخلاق وموضوعه وجود الله وصفاته والعناية الإلهية .. الخ.

يراجع المعجم الفلسفي لمراد وهبه ص٩٩

فالدراسة اعتمدت المصطلح في صورته القديمة دون مراعاة لمآلاته الحداثية مع الفارق الزمني في النشأة والتطور والاستقرار.

٣- كما أن البحث استبعد النقد الذي وجه لهذا المصطلح من (إيمانويل كانط) [1] وكذلك (ليبرييل) مما يتنافى مع المنهجية العليمة التى تضع الرؤية كاملة على مائدة البحث ليحصل تكاملية التصور لها ومن ثم تستأهل موضوعية الحكم عليها نفيا أو إثباتا.

٤- إن المعهود في المصطلحات الأوروبية أنها ذات شقين

Terminologe في ظاهره دون الالتفات إلى Concebtion

لأن العلاقة التضمنية في المفهوم أشد ارتباطا بعلم الكلام بخلاف المصطلح الذي اعتمدته في صورته المهجورة، فالبحث وقف عند الماصدق دون النظر إلى التطورات الدلالية للمفهوم.

---

[1] - فيلسوف ألماني ت ١٨٠٤م .

ثالثا الأسلوب في مثل هذه الدراسات:

يجب أن ترسخ الفوراق الحداد فى الأسلوب التعبيرى فى هذه الدراسات بين ما هو ثقافى وما هو علمى، فثقافية الأسلوب لا تخلق منهجية واضحة ،بل تضفى على الأفكار صفة الهلامية وضبابية الرؤية بخلاف ما هو علمى فى الأسلوب والصياغة فإنه يضع المعانى فى قوالبها اللفظية الصحية دون تباطؤ أو مجاوزة، ويوظف المصطلحات فى الاستخدام الأمثل لها لتعبر عن الأفكار كما يريدها من آمن بها حتى تصبح خير شاهد على ما وقر فى نفسه.

رابعا: المصادر العلمية.

أ–يجب اعتماد المصادر المختصة بفلسفة ما بعد الحداثة ،أما الاعتماد على المصادر الوسيطة فمن شأنها أن تجعل الدارسين أسارى للرؤية الفكرية لهذه المصادر الوسيطة.

ب_ أما بالنسبة للمراجع الأجنبية فيجب تجنب العام فى فكرته منها،والاعتماد على مايمت لموضوع الدراسة بصورة مباشرة، إذ العام فى مجال المعرفة يحول بين الإنسان وبين الرؤية الدقيقة لحقائق القضايا والموضوعات.

ج_ ولعل مما يفيد على تفهم النظرة السابقة فيما ورائيات الحداثة كتابات المسيري وكتابات عبد العزيز حمودة في مجموعة المرايا، وكتب الحداثة للكتاب المغاربة.

وكتب أخرى مثل:

١- التفكيكة النظرية والممارسة كريستوفر نورس.

٢- التفكيكية بييرزيما.

٣- التفكيكية جميل حمداوي

٤- جينيالوجيا المعرفة ميشيل فوكو

٥- التفكيكية في الفكر العربي المعاصر علي حرب

٦- جينيالوجيا الدين لطلال أسد

٧- مجموعات كتابات طه عبد الرحمن وفي مقدمتها النص والتأويل

خامسا: لم يستطع البحث الذى أشرنا إلى رؤيته للتجديد الكلامى فى عصر ما بعد الحداثة أن يظهر التأصيل للعلاقة الجدلية بين علم الكلام وأطروحات ما بعد الحداثة،وهذا أمر له أهميته فإبراز العلاقة التأصيلية الجدلية بين علم الكلام وما ورائيات الحداثة ،يظهر قدرة علم الكلام المعاصر على إنشاء شخصية تستطيع أن تفكك مصطلحات ما بعد الحداثة على نمط تحشيات الفنقلة.

سادسا-فى إطار العلاقة التجديدية بين علم الكلام وما ورائيات الحداثة يجب مراعاة الآتى:

١- تأسيس الأطر المنهجية لتفكيك التفكيك لما وراء الحداثة من خلال أنماط النقد المتعال.

٢- معالجة إشكالية استدعاء المصطلحات التراثية في ضوء التأثيلات المصطلحية لما بعد الحداثة في أنساقها التداولية العامة والخاصة، إضافة إلى التقريبات التداولية في مفاهيمها الإجرائية.

٣-إبراز العلاقة التزاوجية بين المفاهيم المأصولة والمفاهيم المنقولة ونسبة الإبداع في كل منهما في ظل فلسفة ما بعد الحداثة.

٤-الاهتمام بموضوع الترجمة التأصيلية في إحداث التقارب بين التجديد التراثي وطرح ما وراء الحداثة.

٥- التنبه لقضية التزاوج بين الجانب الإشاري والجانب العبارى للمصطلح، وكيفية التخلص من مأزق الوقوع في براثين التعويل على الجانب الإشاري دون جانبه العبارى عند كثير من المفكرين العرب.

٦- التأكيد على أهمية المنظومة القيمية كموجه دلالي لمعنى المصطلح فيما بعد الحداثة وربطه لتصوراتنا التراثية، لأن من خلاله ندرك خطأ الفصل فى الخطاب الكلامي الفلسفي بين بنائه المفاهيمي ونسقه القيمي.

سابعا-يجب على الباحث حال تعرضه لجوانب التجديد أن يراعى:

أولا: جانب التجديد فى البنية الاصطلاحية التأثيلية في التراث الإسلامي والتي تتمثل في أربعة أطوار.

- النشأة والبدايات كما عند جابر بن حيان والكندي.
- المآلات التجديدية للمصطلح كما عند الفارابي والخوارزمي والتوحيدي.
- الثبات كما في كتابات الغزالي وابن رشد والآمدي.
- الاستقصاء والاستقراءكما عند الجرجاني، والتهانوي، والكفوي.

وإذا كانت هذه أمور قد تم التأكيد عليها فى الدرس المصطلحى المغربى، والذى يعد امتدادا للإبداع الأندلسى فى هذا الحقل الدلالى الذى قعد لأصوله ابن رشد فى بداية المجتهد ونهاية المقتصد،فإننا يجب أن لانغفل المقاربات الاصطلاحية بين المدارس الفكرية المختلفة،فهل يمكن أن نجعل الخواطر فى فكر الجبائى،من باب الكلام النفسى فى الفكر الأشعرى؟أمر جدير بالاعتبار فى إطار المعالجات التجديدية للدرس الكلامى.

ولعل مما يلحقه كذلك التباين أو الاتفاق ولو من جهة فى لغة المصطلح فى الفكرين السينوى ،والرشدى من جانب، والتيمى والكرامى من جانب آخر، مع التأكيد على أن البنية التكوينية للنحت المصطلح يجب ألا تخرجه عن طور الوضوح فى ذهن المتلقى و أصالة العلاقة مع المعنى اللغوى، وقد يستثنى من ذلك لغة النحت الاصطلاحى فى الفكر الصوفى نظرا للضيق الاستيعابى اللغوى لدقائق التصوف، والتى تمثل فى بنيتها مشاعر ومواهب تختلف باختلاف أحوال أصحابها. وكما قيل "لو اصطلحوا لهلكوا".وإذا كان هذا على مستوى

البنية التكوينية للمصطلح فى اللغة الواحدة ،فإن التباين اللغوى أدعى إلى مراعاة ذلك فالعصف الذهنى كمصطلح على سبيل المثال لا علاقة له بمعنى العصف ودلالاته فى لغتنا العربية،بل فى معانيه ودلالاته العربية يختلف كلية عما وضع له المصطلح فى لغته الأم "الإنجليزية"،ومن ثم لايمكن أن نرادفه مع التنشيط أو التحفيز فكلاهما فى لغته الأم لا علاقة له بالعصف فى لغة الآخر.

ثانيا: بنية الطرح الفكري وتتمثل في عدد من القضايا منها:

١-أزمة كورونا فى ضوء غياب الإسقاطات التفكيكية فيما وراء الحداثة

٢-نقد الأسس التي دفعت التفكيكيين إلى البحث عن المركز أو الظهير التراثي أو زعزعة أسس الإلحاد المعاصر

٣-البرهان الرياضي

٤-تفكيك التفكيك وأسسه في التراث الكلامي.

٥-العلاقة بين النانو تكنولوجي والجوهر الفرد.

٦-حسم الخلاف الأشعري والتيمى في قضية تماثل الأجسام في ضوء النظريات الحديثة

٧-الهرمونطيقا والتأويل.

٨-الثيوصوفيا في ضوء الأبعاد الروحية للدليل الكلامي.

٩-علم توحيد السوق دراسة نقدية في ضوء علم الكلام.

١٠-النقد الأدنى والأعلى للنص التراثي في ضوء رؤية ما بعد الحداثة.

١١-نظرية إنشاء الدوائر في ضوء القطيعة التفكيكية دراسة في ظل أزمات ما بعد الحدثة.

١٢-رؤية ما وراء الحداثة للنقد الأدنى والأعلى للنص ومدى ملائمتها للدليل النقلى عند المتكلمين.

وغير ذلك من القضايا المستحدثة، بخلاف التطبيقات التقليدية ،التى درج عليها الدرس التطبيقى عند كثير من المفكرين.

الخاتمة

بعد أن طوفنا مع منهجية الدرس الكلامي وأطرها المعرفية في التفاعل مع ما ورائيات الحداثة يمكن أن نستخلص عدداً من النتائج من أهمها :

١- التأكيد على أهمية علم الكلام كأداة تنقذ الإنسان من وهاد الطرح الحداثي وما وراءه كخطوة في استعادة الإنسان الثقة في نفسه بعد أن أفقدته إياها الصدامات الحداثية وما بعدها.

٢- يعد علم الكلام الإنساني مظهراً من مظاهر التجديد في تراثنا الإسلامي من خلاله يتم التفاعل تجاوياً مع المستجدات الفكرية العالمية المعاصرة .

٣- تتعاند الحداثة مع فكرة الزمنية معتبرة الزمان شيئاً من الأشياء .

٤- تقوم الرؤية التصورية وما يترتب عليها من أحكام في عصر ما بعد الحداثة على التفكيك والقطيعة بين الإنسان وتراثه بل وأصوله .

٥- التأكيد على الاهتمام بالنظرات الاستشرافية في مجال الدراسات الكلامية كوجه معبر عن العملية التفاعلية في مجال التراث الإسلامي .

٦- قولبة القضايا المعاصرة في دوائر تجديدية يحيط بها علم الكلام في بنيتها المعرفية ولغتها التعبيرية .

٧- التأكيد على أهمية النحت الإصطلاحي بضوابطه العلمية وأطره الفكرية واللغوية كمظهر من مظاهر قدرة تعامل علم الكلام مع قضايا الفكر المعاصر في اطروحات ما بعد الحداثة .

٨- استغلال المستجدات العالمية في إبراز القيمة التجديدية لعلم الكلام الإسلامي في التعامل مع ما وراء الحداثة، ولعل من أبلغ الأمثلة على ذلك أزمة كورونا التي ربطت الإنسان بالأصل والمصدر كمنقذ للخروج من تيه الأزمة، وفي الوقت ذاته أفقدت العقل البشري الثقة في أطروحات ما بعد الحداثة كبديل قائم على القطيعة والتفكيك .

٩- إبراز أهمية فلسفة نقد النقد في التراث الكلامي والفلسفي الإسلامي كبديل لنظرية تفكيك التفكيك فيما وراء الحدثة من خلال على سبيل المثال عملية تطبيقية بين تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت والجمع بين التهافتين عند الغزالي وابن رشد والخواجة زادة ....الخ.

والله ولى التوفيق